مجلة الإحياء، المجلد: 21، العدد: 28، جانفي 2021، ص - ص: 853 – 866
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

التشافي بدعاء الأولياء في المغربين الأدنى والأقصى خلال العصر الوسيط "الدواعي و الأنماط"

Curing by saints Douâa Invocation in two maghrebs, lower and extreme, in the middle age "reasons and patterns"

طالب دكتوراه عبدالرزاق خضور*   إشراف: د. عبدالقادر بوعقادة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة علي لونيسي البليدة 2
bouagada_aek@yahoo.fr   abderezakkhoudour34@gmail.com
مخبر الانتماء: الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور- جامعة يحي فارس- المدية-

تاريخ الإرسال: 2020/10/05   تاريخ القبول: 2021/01/05

الملخص:

مما لا شك فيه أن ظهور طب الأولياء في المغربين الأدنى والأقصى خلال العصر الوسيط، كان نتيجة عوامل وأسباب تنوعت بين المادية والعلمية والخوارقية والذهنية، ساهمت جميعا في فتح الباب أمام هذا الطب للظهور وترسيخ الاعتقاد به في ذهنية المجتمع، والملاحظ أن التطبيب عند أولياء المغربين الأدنى والأقصى خلال حقبة الدراسة كان يعتمد على العديد من الأساليب من بينها الدعاء، هذا الأخير كان حاضرا بقوة لدى هذه الفئة وذلك لما عرف عنهم بإجابة الدعوة، لاسيما وأن هذه الدعوات رافقتها سرعة الاستجابة في تلك اللحظة مما أدى إلى الاعتقاد بنجاعتها في ذهنية المجتمع المغربي، الذي كان يلتجئ في أغلب حالاته الصحية المتدهورة إلى الأولياء لاستمداد الدعاء في الشفاء من المرض.

إضافة إلى ذلك اعتمد أولياء المغربين الأدنى والأقصى في إبراء العلل وشفاء ذوي العاهات على طقوس علاجية أخرى مثل: التفل والمسح والرقية إلى جانب الدعاء، فلا ريب أن هذه الممارسات الاستشفائية التي وقفنا عليها في كتب المناقب قد صورت لنا فعالية هذا العلاج الكرامي الذي مارسه الأولياء على الساكنة، وفي الوقت نفسه صورت لنا ذهنية المجتمع المغربي الذي اعتقد في نجاعة الطب الصوفي، وقدرته على الشفاء من المرض.

الكلمات المفتاحية: التشافي؛ الدعاء؛ الأولياء؛ المغرب الأدنى؛ المغرب الأقصى.

Abstract:

From what there is no doubt the emergence of holy people medicine.In the Far and Lower Maghreb during the middle age.It was the result of factors and reasons varied between materialism, scientific, supernatural and mental. All of them have all contributed to opening the door for this medicine to appear and consolidating the belief in it in still mindset.

It is noted that the medical treatment of holy people of Morocco and Lower Maghreb during the study period , depends on many hospital methods of between is known as the prayer, The last one was strongly present in this category by what had known from these holy people, beside that the speed response came the moment with the prayer of holy people, This

* المؤلف المرسل.

led to its efficacy in the mindset of Maggreb society, Which was resorted in it's most cases to holy people to deteriorating health conditions to pray for themto recover from illness.

that holy people of Morocco and Lower Maghreb depend to help with recovery from diseases and healing people with disabilities on rituals,like slugs wiping and ruqyah beside prayer.

There is no doubt that these therapeutic practices that we have seen in titles Books she showed us the effectiveness of this dignities treatment that the holy people practiced on the still spiri besides it was adopted At the same time, we were presented with a mindset of the maggreb community, which believed the success of sufism medicin And his ability to recover from illness.

key words: Curing; Douâa; Saints; two maghrebs; lower and extreme .

مقدّمة:

لعل من المواضيع المستجدة التي جاءت بها مدرسة الحوليات في الفترة الأخيرة، ما يعرف بالمواضيع الاجتماعية التي أصبحت محل اهتمام الباحثين والمؤرخين في العصر الحديث، ولا شك أن التطرق لمثل هذه المواضيع يقتضي من المؤرخ البحث في المصادر الدفينة، من بينها كتب المناقب باعتبارها مادة دسمة قابلة للبحث، والتي تضم في ثناياها العديد من المواضيع المهمشة في الكتابة التاريخية لعل أبرزها موضوع طب الأولياء أو بما يسمى بالطب الروحاني.

لا ريب أن الباحث في هذه المدونة المنقبية سيصدم أمام كثير من الحكايات الكرامية التي روجت لهذا الطب، والتي أكدت على فعاليته ونجاعته في تطبيب الأمراض التي عانت منها الساكنة، هذا الطب لقي قبولا ورواجا في أوساط المجتمع المغربي، مما انبثق عنه ترسخ فكرة الاعتقاد به في ذهنية الإنسان المغربي، ناهيك على أن هذا الطب قد كان يعتمد في علاجه على آليات بسيطة أبرزها آلية الدعاء التي يرتكز عليها موضوع بحثنا.

هذه الأخيرة كانت حاضرة بقوة لدى هؤلاء الأولياء لما لها من ميزات لعل أبرزها بالدرجة الأولى تلك البساطة التي كانت تتميز بها، بدليل أنها كانت ترتكز على لغة الكلام فقط، فهي لا تتطلب من الأولياء جهدا كبيرا في ممارستها، ناهيك على أن ممتهني هذه الآلية قد عرفوا بإجابة الدعوة وذلك لتقواهم وورعهم، إضافة إلى ذلك قد رافقت دعوات الأولياء سرعة الاستجابة في تلك اللحظة مما أدى ذلك إلى الاعتقاد بنجاعتها في ذهنية المجتمع المغربي، الذي كان يلتجئ في أغلب حالاته الصحية المتدهورة إلى الأولياء لاستمداد الدعاء في الشفاء من المرض.

هذا لا يمنع أن نجد هذه الآلية قد تقترن في بعض الحالات الصحية بطقوس استشفائية أخرى في إبراء العلل التي أثبتت فعاليتها في التطبيب، وفي هذا السياق نطرح الإشكالية التالية: إلى أي مدى أثبت التداوي بالدعاء لدى الأولياء فعاليته ونجاعته في علاج المرضى؟ ويندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية، أجبنا عليها في ثنايا هذه الورقة البحثية: ما المقصود بمصطلح الدعاء؟ ماهي العوامل والأسباب التي ساهمت في ظهور الطب في بلاد المغارب؟ هل اللجوء إلى دعاء الأولياء يعبر عن العجز الطبي والتصريح بالتخلف في مجال الطب؟ ما هي أهم الأمراض التي عالجها الأولياء بالدعاء؟ هل اعتمد الأولياء في الدعاء للمرضى على وسائل استشفائية أخرى؟

وتتجلى أهمية هذا الموضوع في كونه يمثل أحد المواضيع التي تستحق البحث والدراسة في وقتنا الحالي، لا سيما وأنه لم يحظ باهتمام الباحثين والمؤرخين العرب الذين انصبت جل اهتماماتهم حول

التأريخ لموضوع كرامات الأولياء بشكل عام دون الخوض في أدق تفاصيل مجالات هذه الأخيرة وملامسة حقيقتها، على الرغم من غزارة مادتها وثراء مدونتها، والملاحظ على هذا الموضوع أنه يمثل أحد المجالات الأساسية التي تساعد الباحث على فهم ذهنية المجتمع المغربي خلال العصر الوسيط، الذي انساق وراء الاعتقاد في كرامات الأولياء وقدرتها على الشفاء من المرض، وهذا ما سنحاول دراسته في هذا البحث، ولاشك أن كل ذلك يدخل في سياق التأريخ لتاريخ الذهنيات والأفكار الذي نادت به مدرسة الحوليات.

أما الأهداف المرجوة من هذه الدراسة فتمثلت في معرفة الأسباب الحقيقة التي مكنت هذا الطب من الظهور في منطقة الضوء وفاعليته وسرعة الاعتقاد به، ولاشك أن إدراك فاعلية علاج الأولياء في تطبيب المرضى بالاعتماد على آلية الدعاء كأحد الأساليب الاستشفائية الرائجة في تلك الفترة تطلب منا الأمر البحث عن هذه الأمراض التي عالجوها، إضافة إلى ذلك حاولنا البحث عن الحالات الصحية التي كانت تستدعي في بعض الأحيان تدخل بعض الطقوس العلاجية الأخرى إلى جانب وسيلة الدعاء الاستشفائية في الوقت نفسه.

ونظرا لطبيعة الموضوع المدروس اعتمدنا في هذه الورقة البحثية على المنهج التاريخي الذي تطلب منا توظيف بعض الآليات، لعل أبرزها آليتي التتبع والاستقراء لمتخلف الروايات المنقبية التي أوردتها هذه المدونة، فلا ريب أن هذه النصوص قد مكنتنا من وصف الحالة الصحية والنفسية وحتى الذهنية للمجتمع المغربي خلال فترة الدراسة، إلى جانب ذلك استندنا إلى آلية التحليل من خلال البحث في الظروف التي كانت وراء ظهور هذا الطب وتعليل تفوقه واعتقاد الساكنة بنجاعته وفعاليته في الشفاء من المرض.

أولا: الدعاء... الدلالة اللغوية والاصطلاحية:

مما لا ريب فيه أن ظهور الطب الصوفي في المغربين الأدنى والأقصى في العصر الوسيط، وما يدخل في سياق الاعتقاد بنجاعة أساليبه الاستشفائية، والترويج له لم يكن بين لحظة وضحاها، وإنما كان ذلك نتيجة ظروف وعوامل مختلفة تنوعت بين ما هو (مادي، علمي، خوارقي، ذهني)، هذه الظروف ساهمت في فتح المجال أمام هذا الطب للظهور وتعزيز الاعتقاد به في ذهنية الإنسان المغربي، وذلك بالاعتماد على طقوس علاجية فعالة لعل أبرزها آلية الدعاء التي أثبتت فعاليتها في تسكين الألم هذا ما روجت له كتب المناقب.

ولا بد أن ننوه أن هذه الأخيرة قد تطرقت إلى نوعين من الأدعية، أدعية تتعلق بالدعاء على المجتمع لسبب ما، وأدعية تتعلق بالدعاء للإنسان في مختلف المجالات، هذه الأخيرة هي موضوع بحثنا في هذه الورقة البحثية لا سيما ما تعلق بالمجال الصحي للمجتمع المغربي، ناهيك على أن فئة الأولياء التي تصدرت لممارسة هذا الطب قد تستعين في بعض الحالات الصحية بطقوس علاجية أخرى إلى جانب الدعاء، وقبل البدء في تفاصيل هذا الموضوع ارتأينا التطرق إلى الضبط اللغوي وكذا الاصطلاحي لمفهوم الدعاء.

1- الدلالة اللغوية: الدعاء في اللغة: "مصدر الفعل دعا، دَعَا الرجلَ دَعْواً ودُعاءً: ناداه، والاسم الدعْوة، ودَعَوت فلاناً أَي صِحْت به واسْتَدْعَيْته، الدُّعاءُ: واحد الأَدْعية، وأَصله دُعاوٌ لأَنه من دَعَوْت، إلا أَن الواو لمَّا جاءت بعد الأَلف هُمِزتْ"[1].

2- الدلالة الاصطلاحية: معنى الدعاء "استدعاءُ العبدِ ربَّه عزَّ وجلَّ العنايةَ، واستمدادُه إيَّاهُ المعونةَ. وحقيقته: إظهار الافتقار إلى الله تعالى، والتبرُّؤ من الحول والقوّة، وهو سمةُ العبودية، واستشعارُ الذلَّة البشريَّة، وفيه معنى الثناء على الله عزَّ وجلَّ، وإضافة الجود والكرم إليه"[2]، ومنه يمكن القول أن الدعاء هو التوجه إلى الله والتضرع له بالسؤال في قضاء الحاجات وتفريج الكربات لاسيما المرض في ظل حاجة الإنسان للشفاء منه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾(البقرة: 186).

ثانيا: باعث الساكنة العلاجي لدى الأولياء.....اعتقاد أم عجز طبيب ؟

إن المطلع على المصادر المنقبية التي خصصت موضوعاتها للترجمة للأولياء الذين عاشوا في العصر الوسيط، سيلاحظ منذ البداية أن هؤلاء قد سجّلوا حضورا لافتا في أوساط المجتمع المغربي، بدليل إيراد هذه المصنفات لكثير من الإشارات الدالة على قيام الولي بمختلف الأدوار المنوطة به في العديد من الأصعدة، لاسيما فيما تعلق بالأمراض التي مست مختلف شرائح المجتمع، فلا ريب أن هذا المجال قد أصبح فيه الولي أكثر مشاركة للتخفيف من وطأة هذه العلل أو الحد منها، وذلك حسب ما توفر من الآليات والوسائل لدى الولي "الطبيب المختص "[3].

وفي حقيقة الأمر أن هذا العلاج الكرامي الذي اعتمد عليه الأولياء، وتبناه المجتمع المغربي ينم عن حقيقة واحدة، وهي الاعتقاد بفعالية هذا العلاج، وقدرته على الاشفاء في ظل محدودية الطب، هذا ما مكن الفئات الاجتماعية من معرفة نوع آخر من الممارسات الطبية بما يسمى "بالطب الروحاني" أو "طب الأولياء"، وهو ما قد يطرح بصدده العديد من الأسئلة التي تتمحور في مجملها حول: الدعاية المجتمعية للعلاج الولائي " كيف ولماذا؟" عجز طبيب وفعالية وسائل الولي العلاجية "إلى أي مدى يمكن إثبات ذلك؟"، نقص فعالية الدواء وارتفاع التكاليف المادية الباهضة "ما مدى صحة ذلك؟ وما تأثير كل ذلك على الطب العلمي؟".

إذ يمكن القول أن نقص فعالية الدواء الممنوح من طرف الطبيب قد شكل أحد الأسباب الرئيسية في فتح الباب لظهور طب الأولياء كبديل للطب العلمي، وللتأكد من ذلك يكفي الرجوع إلى النص الصريح الذي قدمه لنا أحد الكتب المنقبية حول أحد أرباب الدولة الذي التجأ إلى عائشة المنوبية، بعد أن أثبت ذلك الدواء نقص فعاليته وعدم نجاعته، ووصل الأمر إلى أبعد من ذلك، وأصبح أكثر خطورة عند استعماله لما انجر عنه من تفاقم لوضعية المريض الصحية[4].

ومما زاد الطين بلة تلك الإشارات والقرائن التي أمدتنا بها كتب المناقب فيما تعلق بالتكاليف المادية الطبية الباهضة التي كان يتعين على أصحاب العلل تقديمها مقابل تطبيب تلك العلل، ولعل المثال الأبرز والدال في هذا السياق، ما نقلته هذه النصوص حول أخت علي بن عبدالكريم التي دفع من أجل مداواتها من لمعة البرص[5] مئة دينار إلى الطبيب، دون أن ينجح دواؤه في شفائها، فكان الملاذ الأخير أبا تميم عبد الواحد الأسود الذي تمكن من معالجتها[6]، فلا شك أن هذا النص المقدم قد أبان عن حقيقتين، الأولى أن هذا الطب أصبح متاحا للجميع عكس الطب العلمي لاسيما الطبقة الفقيرة التي لم يكن بمقدورها دفع تكاليف الطب والدواء، فرأى المجتمع المغربي في ذلك ملاذا لما يحمله الطب الصوفي من "قيم الروح بدلا من قيم المادة"[7]، فيما أكدت الحقيقة الثانية على نجاعة العلاج الكرامي ونقص فعالية الدواء.

ومن الواضح أن ظهور الولي الطبيب المختص كان له ارتباط وثيق بعجز الأطباء عن تطبيب المرضى وإبراء عللهم، وهذا ما يتوافق مع مقولة: " يبدأ دور الولي عندما ينتهي دور الطبيب"[8]، فلا ريب

أن المضامين المنقبية لا تخلو في هذا الباب من الأدلة والشواهد الدالة على محدودية الطب العلمي، وهذا ما يمكن أن نستشفه من خلال قول أبي العباس أحمد بن مخلوف الصقلي: "عندي شاب صغير مرض بالبواسير وهي دائمة إلى أن لزم الفراش، وأعيا الأطباء أمر علاجه. وهذا حاله منذ أربع سنين...فقصدت نحو كدية علي القرجاني بنية الزيارة، فلما توسطت الشرف، فإذا بسيدتي عائشة عند تربة سيدي علي السنفاج، وهي تقول: يارب سألتك بهؤلاء الرجال عندك إلا ما نقلت البواسير عني وقد أعيا الأطباء علاجي، وأنت الطبيب لمهجتي،...ففرج الله عن الولد"[9].

فالقارئ لهذه المصنفات سيلاحظ أنها تؤكد على قصور الطب العلمي لاسيما وأن هذه الصناعة قد عرفت ضياعا لأنه "يتعرضها الغث والسمين"[10]، في المقابل كانت تثبت فعالية الطقوس الاستشفائية للولي، فبقدر ما كان ذلك نعمة على أصحاب العلل مثل في الوقت نفسه نقمة على أصحاب الطب العلمي لما ينجر عنه من نتائج وخيمة.

وفي نفس السياق نقف على مسألة في غاية الأهمية قد تطرقت لها كتب التراجم، هذه المسألة التي يمكن أن نسميها بـ: " اعترافات طبيب" أو " نصائح طبيب"، والتي يبين فيها قصور الطب العلمي ويؤكد في آن واحد على اللجوء إلى الولي الذي يمكنه شفاء مثل هذه العلل، ومن النماذج التمثيلية التي تؤكد على صحة ما تقدم ذكره، ما نقلته لنا أحد النصوص حول "صبي بدوي دخلت علقة في فمه فعاناها الطبيب بما قدر لعلها أن تخرج فلما أعياه قال له: ما هذه في استطاعتي فامضي بابنك إلى السبائي لعله يدعو له فيفرج الله عنه"[11].

والملاحظ على هذا النص أنه قدم دليلا ثنائيا، فبقدر ما وضح عجز الطبيب في حد ذاته، وضح اعتقاد الطبيب بقدرة الولي على علاج المريض بالاعتماد على آلية الدعاء كأحد الأساليب الاستشفائية الرائجة في تلك الفترة، فلا شك أن هذا الأمر ليس بالجديد على المجتمع المغربي، لاسيما وأنها قد صادفت الكثير من الحالات التي تؤكد على قصور الطب العلمي، ولا ريب أن كل ذلك سيؤدي انعكاسات سلبية على علاقة المجتمع بالأطباء لما ينجر عنه من " أزمة ثقة "[12]، هذا كله جاء ليبين لنا في آخر المطاف أن ما سبق ذكره كان من بين العوامل والدوافع وراء تحريك المغاربة بالبحث عن البديل.

والملفت للانتباه في كتب المناقب أنها قد دونت في طياتها أقوالا لإحدى النساء يمكن أن نطلق عليها مصطلح "شهادات" تقر فيها بقدرة وفعالية وسائل الولي الاستشفائية، ولا تعوزنا القرائن لإثبات صواب هذا المنحى، إذ يمكن أن نستشف ذلك من خلال قول ابن الزيات[13]: "حدثني عبدالله بن عيسى في صفر سنة عشر وستمائة قال: كنت في شبيبتي تصيبني غاشية. فعانتني أمي إلى أن أعياها أمري. فقالت لها امرأة: كان لي ولد يعتريه مثل هذا، فحملته إلى أبي لقمان فمسح على رأسه فصح، فحملتني إلى أبي لقمان...فمسح بيده على رأسي فما أصابني الصرع[14] من حينئذ إلى الآن".

إذن يمكن القول إن هذه المرأة قد روجت للطب الصوفي بطريقة مباشرة ربما كان ذلك من باب التجربة، ومن باب شعورها بما كانت تعانيه تلك المرأة من تعب وإرهاق جراء مرض ابنها، إضافة إلى عجز الطبيب وارتفاع تكاليفه الباهضة، فكانت هذه الشهادات عبارة عن نماذج للاقتداء والعمل بما فعله الآخر للتغلب على هذه الأمراض، ولاشك أن هذا الترويج قد تزعمته الفئات الهشة في أغلب الأوقات التي كانت تعيش حالة العوز والفقر ليس لها أدنى متطلبات العيش، وكنتيجة حتمية لما تقدم ذكره تراجع الطب العلمي وتفوق الطب الصوفي الذي لم يكن بين ليلة وضحاها، وإنما كان نتاج عوامل وأسباب قد سبق وأشرنا إليها مما أدى إلى رسوخ فكرة الاعتقاد في ذهنية الساكنة بفاعلية العلاج الكرامي.

ثالثا: الأمراض التي عالجها الأولياء بالدعاء:

طبيعي أن يستغل الأولياء تلك الظروف التي تم التطرق إليها سابقا (محدودية الطب، نقص فعالية الدواء، الدعاية المجتمعية للولي، التكاليف المادية الطبية الباهضة) للظهور في منطقة الضوء، فلا ريب أن هذه الأخيرة قد أسهمت إلى حد بعيد في فتح المجال لظهور الأولياء وتبرير حضورهم في وسط المجتمع المغربي، وذلك من خلال العمل على التقليل من وطأة وحدة تلك العلل، والحد من تأثيراتها لا سيما على الجانب النفسي للمريض الذي كان غالبا ما يصاب بالملل و التعب من جراء هذه الأمراض لطول مدتها، فقد وردت في كتب المناقب عديد العبارات التي تعبر عن الحالة النفسية المتدهورة التي كان يعيشها المريض، ومثل ذلك- قلقت وطالت بي العلة وخشيت الموت-[15].

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه إلى أبعد من ذلك حين ساهمت هذه الأمراض في تعطيل زواج فتاة، ووصل الأمر إلى حد السخرية من ذلك الرجل الذي يريد الزواج بها، وهذا ما يتضح من خلال قول أحد الشيوخ "وذكر عن شيخ معمر كان بالمنستير اسمه عبد السلام، كانت له بنية فمرضت بالجدري[16]، فأتى على بصرها وطلع عليه بياض فكانت لا ترى قليلا ولا كثيرا وكان له ابن أخ فرغب بها، فقالت له أمه وأخواته: تأخذ صبية مكفوفة البصر ترجع تخدمها؟ "[17] .

إضافة إلى ما كانت تخلفه هذه الأمراض من خسائر بشرية، مما يؤدي إلى حدوث أزمة ديموغرافية في أوساط المجتمع المغربي، كما تكمن خطورة هذه الأمراض في أنها تكون أشد وقعا على الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ومهما يكن من أمر، فإن الطب الصوفي قد أحسن استغلال تلك الظروف سالفة الذكر أحسن استغلال لدرجة أنه ما لبث أن أبان عن قدرته الفائقة في مداواة مختلف الأمراض التي استعصى علاجها على الأطباء، أو تلك التي عرفتها الساكنة لا سيما في البادية المغربية التي كانت تفتقر لأدنى متطلبات الخدمات الطبية، وتعيش حالة من العوز و الفقر.

وبما أن موضوع بحثنا يتمحور حول ظاهرة التشافي بالدعاء سنحاول رصد مختلف الأمراض التي كان فيها الدعاء بمثابة الدواء الفعال لتسكين الألم، لكن قبل ذلك لابد أن نوضح أننا سنقتصر على إيراد بعض القرائن فقط لتوضيح مدى فعالية ونجاعة العلاج الكرامي بالدعاء، بدليل أننا قد أوردنا إشارات متعلقة بالموضوع في ثنايا هذه الورقة البحثية.

ومن الأمراض التي وقفنا عليها من خلال ما نقلته لنا الكتب المنقبية، والتي مارس فيها الولي مهنة التطبيب بالاستناد و الاعتماد على آلية الدعاء كأحد الممارسات الطبية الفعالة التي أثبت قدرتها في شفاء المريض، مرض الجنون الذي أصيبت به إحدى نساء المغرب الأقصى فما كان من أبي يعزى إلا أن عالجها فشفيت، وقد عرف عن هذا الأخير إبراء المجانين والمرضى وشفاء ذوي العاهات على يديه[18]، ربما كان اللجوء إليهم لما عرف عنه من " إجابة الدعوة" هده العبارة تتكرر كثيرا في أدبيات المناقب هذا من جهة، ومن جهة أخرى من باب استجابة الله لدعائهم وذلك " لتقواهم وورعهم"[19].

ونفس الآلية التي استعان بها شقران العابد في شفاء صبي كف بصره فقال: "اللهم إن أخانا هذا قد سألنا ما علمت، فنسألك أن ترد بصره"[20]، فرد الله بصره ببركة دعاء ذلك الولي، فلا شك أن استعمال الأولياء للدعاء كوسيلة استشفائية كان من باب الاقتداء بالنبي لما ثبت عنه أثناء زيارته لسعد بن أبي وقاص بمكة فقال: " اللهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، ثَلَاثَ مرار "[21].

والجدير بالذكر أن مؤلفي كتب المناقب الذين أفردوا وخصصوا موضوعات هذه الكتب للترجمة لسير الأولياء والبحث في أدوارهم، لنجد أنهم يؤكدون في ثنايا هذه الكتب أن الولي لم يكن يعيش بمعزل عن شرائح مجتمعه، بل اندمج معهم، بدليل أنه عمل على التقليل والتخفيف من معاناة المرضى، إن لم يكن ذلك بواسطة آلية الدعاء الاستشفائية التي أثبتت نجاعتها وسرعة استجابتها، كان ذلك بواسطة تقديم مساعدات مادية لأصحاب العلل وذوي العاهات.

ومن الصور التي وقفنا عليها في طيات هذه المدونة والتي نصت على تقديم الولي لمساعدات مادية تضامنية لفئة المرضى، مثلما فعل الولي أبو الحسن ابن حرزهم الذي أراد التخلص من إرث أبيه والتصدق به على الجذماء[22]، ولا شك أن تقديم الولي مثل هذه المساعدات المادية التضامنية يرمي من خلالها إلى الرفع من معنويات المريض بالدرجة الأولى، علاوة على ذلك يمكن أن نعتبر هذا الإجراء بمثابة المجال الحيوي للولي الذي سيمكنه من ترسيخ وتعزيز فكرة الاعتقاد به، واللجوء إليه وقت الحاجة في ظل ارتفاع تكاليف الطب وغياب دور الدولة.

إلى جانب ذلك، لا تعوزنا القرائن والأدلة التي تؤكد على وجود حالات صحية في المدونة المنقبية بلغ فيها المريض أقصى درجات التذمر من مرضه، مما دفع به إلى تقديم جملة من الشكاوي إلى الولي -باعتباره مؤسسة علاجية فعالة- يلخص فيها وضعه الصحي المزري، وغالبا ما كان يصاحب هذه الشكاوي جملة من الطقوس على غرار تقبيل رجل الولي، أو البكاء بين يديه وهو ما يدخل في سياق التعظيم والتقديس للأولياء.

ومن الأدلة والشواهد التي تعضد هذا التخريج ما نقله لنا كتاب مناقب أبي سالم التباسي وهو ما يتضح من خلال قول الشيخ التقي سيدي أبي إسحاق إبراهيم الصابوني رحمة الله، قال: " كان لي ولد أبكم فحزنت لذلك ورجعت لشاهد العقل وفوضت أمري وأمره إلى الله، فبينما ذات يوم أنا والصبي معي ونحن سائرون إلى الحمام وإذا به ينادينى فالتفت وإذا به سيدي سالم التباسي في الخلوة ينادي فكبوت على رجليه أقبلهما ثم أخذ الصبي وجعله في حجره وقال: اللهم بسرك الذي شاهد إبراهيم خليلك إلا ما أطلقت لسان هذا الصبي فأنطقه الله في الحين ببركته"[23]، فلا شك أن حالة التذمر التي كان يعيشها والد هذا الصبي دفعت به الوثوق بتدخلات الولي العلاجية، لدرجة وصل به الأمر إلى تقبيل رجليه هذا من جهة، ومن جهة ثانية كان القيام بهذا الفعل يوحي بترسخ فكرة الاعتقاد في ذهنية هذا الشيح بقدرة التباسي على علاجه.

وفي السياق نفسه لفت انتباهنا أن حالة التذمر من المرض والشكوى منه إلى الولي لم تقتصر على عامة المغربين الأدنى والأقصى، بل تعدته إلى أحد أرباب الدولة في المغرب الأدنى، فعلى الرغم من توفر هؤلاء على وسائل الوقاية العلاجية، ومرافق العلاج وحتى خصصوا لأنفسهم أطباء، غير أن عجز الطب لديهم ونقص فعالية الدواء دفع بهم إلى تقديم شكواهم لأولياء الله، مع القيام ببعض الممارسات التي تدل بوضوح عن الرغبة في الشفاء، وهو ما يتضح من خلال قول الشيخ سيدي رمضان بن مرزق ابن الحاج منصور القصوري أحد أرباب الدولة: "أصابتني نائبة في عانة حجري وأخفيت سرها عن كل أحد، وكنت كلما أضع عليها الدواء يزداد الحال، وقلقت وطالت بي العلة وخشيت الموت، فركبت فرسي وسرت أتنزه نحو القبلة، وإذا بسيدتي عائشة، فلما رأيتها نزلت على فرسي وقبلت الأرض أمامها، وصرت أبكي بين يديها و أقول: فضائلك يا ولية الله، فقالت: العلة هاربة بحول الله ويذهب ما بك"[24].

فهذا النص المقدم قد صور لنا عدة حقائق لعل أبرزها في مقدمة القول فيما يتعلق بعجز الطبيب ونقص فعالية دوائه قد سبق واشرنا إلى ذلك، ناهيك على أن هذا النص يصور حالة من القلق والمعاناة

التي كان يعيشها المريض، إضافة إلى ذلك أن هذا القول قد قدم لنا حقيقة في غاية الأهمية، وهي تجذر الاعتقاد في ذهنية الإنسان المغربي بفعالية العلاج الكرامي الممارس من طرف الأولياء، مما انجر عنه تأثيرات على سلوكيات وأفعال الإنسان بدليل قيامه بهذه الطقوس، وكل ذلك رغبة في التخلص من الوضعية الصحية المزرية.

والظاهر أن الأولياء قد شعروا بداخلهم بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم تجاه أفراد المجتمع الذي يعيشون معه، فلم يبخلوا على أنفسهم بنيل الأجر والثواب جراء تقديم هذه الخدمات الصحية، ولم يبخلوا أيضا على الناس بإبراء عللهم التي كان غالبا ما يصاب المريض من أثرها بحالة من القلق والتذمر، في المقابل سيضمن لهم ذلك صنع مكانة لهم في نفوس المجتمع المغربي، فلا ريب أن شعور الأولياء بتلك المسؤولية كان من باب الاقتداء بالنبي والعمل بما جاء في حديثه، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ"[25].

لم يتوقف تدخل الأولياء في معالجة الأمراض عند هذا الحد، بل صورت لنا أدبيات المناقب أمراضا أخرى لجأ فيها الناس إلى الأولياء، وذلك لما كان يرافق دعواتهم من "سرعة في الاستجابة"، ولعل هذا أهم شيء راهن عليه الأولياء في كسب المجتمع، لا سيما الطبقات الهشة التي كانت تعتقد بفعالية العلاج الكرامي، فقد وصل الأمر بهم إلى تهنئة والد المريض، ربما كان ذلك من باب إدراكهم لحجم المعاناة التي كان يعيشها هذا الأخير، في المقابل سيؤدي كل هذا إلى الترويج بنجاعة أساليب الولي الاستشفائية لا سيما آلية الدعاء التي كانت تعتمد على " اللغة "[26] فقط، يحدث كل ذلك في ظل تناقل الخبر بين الناس بدرجة من الانبهار، ولا تنقصنا القرائن التي تثبت ذلك الطرح، ومن ذلك أن الولي ابن حرزهم قد تمكن من شفاء صبي لم يتكلم قط بعد أن لجأ إليه والده فادعا له قائلا: " أطلق الله لسانك. وكان ذلك بعد صلاة العصر، فرجع الرجل المذكور إلى مكناسة ثاني يوم بدعائه، فتلقاه الناس يهنئونه بكلام ابنه أمس بعد صلاة العصر"[27].

والملاحظ على ما قدمته هذه المدونة المنقبية أن علاج الأولياء لم يقتصر على تلك الأمراض المعروفة، بل تعداه إلى تطبيب تلك الأمراض المجهولة التي لم يرد نوعها أو صنفها، وهو ما يتضح من خلال بعض العبارات التي تكررت في هذه النصوص المنقبية - مرضت مرضا شديدا- ربما كان سقوط نوعية المرض عفويا على اعتبار وجود أمراض أخرى تم تحديد نوعها قد سبق وأشرنا إليها، ونحن لسنا هنا بصدد البحث والتفصيل في أسباب إخفاء نوعية المرض، بل الذي يهمنا هو استحضار هذه الشواهد لرؤية مدى فاعلية آلية الدعاء في تطبيب هذه الأمراض وسرعة الاستجابة في ذلك، فقد أمدنا ابن الزيات بنصوص تصور لنا الولي في صورة طبيب تمكن فيها من شفاء هذه العلل بتوظيف آلية الدعاء في التطبيب، وهذا ما يتضح من خلال الأمثلة التي وقفنا عليها في هذا الصدد أن ابن تاخميست عاد مريضا، فقال "سألت الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك، فما أكملها في المرة الثالثة حتى برئت"[28].

هذا النص الذي تم تقديمه عكس النصوص الأخرى سالفة الذكر التي كان فيها المريض يلتجئ إلى الولي الطبيب، فهذا النص فيه تصريح واضح عن تلك النزعة الإنسانية التي كانت حاضرة لدى هؤلاء الأولياء، والتي تعبر عن موقفهم وتعاطفهم مع هذه الفئة من خلال زيارتهم وتطبيبهم في بيوتهم، فقلما نجد مثل هذه المواقف عند الأطباء خاصة والأولياء عامة، فلا ريب أن ذلك سيؤدي إلى ضمان مكانة لهم في نفوس المجتمع لا سيما مع نجاعة أسلوب الدعاء في الاستشفاء، والذي غالبا ما رافقته سرعة الاستجابة في تسكين الألم، وبعد أن تمكننا من رصد أهم الأمراض التي عالجها الأولياء معتمدين في ذلك على آلية

الدعاء، سواء كانت معروفة النوع أو مجهولة الصنف، نشير إلى أن هؤلاء لم يختصوا بالشفاء بآلية الدعاء فقط، وإنما مارسوا طقوسا علاجية أخرى، يمكننا القول بأن فاعلية الطب الصوفي قد ساهمت إلى حد بعيد في ترسيخ فكرة الاعتقاد في ذهنية المجتمع بقدرة العلاج الكرامي على التطبيب والتخفيف من الألم.

رابعا: اقتران دعاء الأولياء بأنماط استشفائية أخرى........ هل هي الحاجة أم إثبات فعالية؟

قبل سبر أغوار مضمون هذا المبحث، ننوه إلى أن أغلب الحالات الصحية التي عالجها الأولياء بالاعتماد على آلية الدعاء، غاب فيها ذكر هذه الصيغ في كتب المناقب بدليل تكرر عبارة – دعا له -، هذا لا يمنع أن نجد بعض الحالات التي تم ذكر صيغة الدعاء فيها، والتي لا نرى أنها أدعية خاصة بالأولياء، وذلك لبساطة لغتها، وهو ما يمكن أن نستشفه من خلال بعض العبارات الواردة في كتب المناقب – أطلق الله لسانك، أرجو أن يعافيك الله- ، والظاهر أن "بنية الأدعية"[29] التي تم استعمالها وتوظيفها غالبا ما تقترن بسرعة الاستجابة.

لقد سبق وأن أشرنا إلى أن آلية الدعاء قد شكلت أحد الأساليب الاستشفائية الرائجة في المغربين الأدنى والأقصى في تسكين الوجع، إضافة إلى ذلك هناك بعض الحالات الصحية قد استدعت تدخل بعض الوسائل الاستشفائية الأخرى إلى جانب الدعاء في إبراء هذه العلل، فعلى الرغم من قلة الإشارات التي تثبت هذا الطرح، فإن المدونة المنقبية لا تلوذ بالصمت عنها بل سوقت لها وأكدت على نجاعتها وفعاليتها.

إذ يتجلى ذلك في بعض الحالات الصحية الاستثنائية على غرار مرض العمى الذي أصيب به أحد الرجال، مما دفع به إلى البحث عن الولي عبد الله بن معلى بعد أن أخبره الطبيب أن عينه قد فسدت، ولا فائدة من الإسراف في علاجها، فما كان منه إلا أن التجأ إلى الولي الذي تمكن من علاجه بالرقية والدعاء له قائلا: "أرجو أن يعافيك الله"[30]، هذا النص يصور لنا مرة أخرى قصور الطب العلمي في علاج الأمراض المستعصية في مقابل ذلك نجاعة الاستشفاء برقية ودعاء الولي، ولا بد من التنويه أن الاستشفاء بالرقية كان من "الطقوس القديمة التي تم إدماجها ضمن المنظومة الإسلامية، وذلك بعد تغيير جوهري في بنيته تحول فيها من طقس سحري إلى طقس ديني"[31].

فقد ثبت عن الشيخ أبي إسحاق السبائي أنه " كان إذا رقى أحدا يقرأ في رقيته: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ و ﴿قل هو الله أحد﴾ والمعوذتين، وكل سورة سبع مرات، ثم يقول في آخر رقيته: ببغضي في عبيد الله وذويه، وحبي في نبيك وأصحابه وأهل بيته: اشف (كل) من رقيته، فيشفى بإذن الله سبحانه وتعالى"[32].

والجدير بالذكر أن اعتماد الأولياء لم يقتصر فقط في إبراء العلل على آلية الرقية كأحد الطقوس العلاجية التي وجب استحضارها في الدعاء للمريض، وإنما أمدتنا كتب المناقب بنصوص أخرى نقلت لنا استناد الولي في علاجه على وسيلة غير التي تمت الإشارة إليها، إذ يتجلى ذلك بتوظيف آلية المسح والاستعانة بها في التطبيب، وهذا النوع من الممارسات الطبية قد أطلقت عليه إحدى الباحثات :" المسح المشفوع بالدعاء"[33]، ومن الأمثلة التي وقفنا عليها في هذا الصدد، أن أحد الرجال قد رمدت عيناه فالتجأ إلى الولي الذي مسح بيده المباركة على عينه، ثم دعا له بالشفاء، فما رمدت عينه منذ ذلك حتى قبض[34].

إلى جانب ما تقدم ذكره، قد وقفنا مرة أخرى على نفس الممارسة العلاجية التي تطرقنا لها سابقا، غير أن هذه المرة قد أضيف إليه طقس علاجي كان من الوسائل المفضلة لدى الأولياء وقبلهم الأجداد وهو ما يعرف بالتفل[35]، أما عن طريقة استعماله فتكون بالبصق في يد الولي أو في موضع الألم مباشرة، ثم

القيام بالمسح بواسطة اليد على مكان المرض، ليأتي بعدها الدعاء، وهناك حالات يكون فيها الدعاء أولا، ثم يأتي ما تقدم ذكره، فإننا لا نعدم توفر مثل هذه الممارسات في المغربين الأدنى والأقصى، إذ يمكن أن نستشف ذلك من خلال شهادة الفقيه أبي عمر بحيث قال: " جئنا إلى المسجد، فوجدنا الشيخ فيه – أبا يعزى - ومعه خلق كثير، فدخلنا المسجد، فإذا الناس بين متعجب خاشع أو باك أو داع أو ذاكر لله تعالى، فقلنا لهم مالكم؟ فأشاروا إلى صبي، فقالوا هذا الصبي جيء به محمولا مقعدا من وركيه فدعا له الشيخ ثم تفل الشيخ في يده وجرها على وركيه ثم أخذ بيده فاستوى قائما، فنظرنا إلى الصبي يمشي"[36].

فهذه الشهادة المقدمة تفصح بصدق عن درجة التعجب والانبهار الذي وصل إليه المجتمع من هول ما شاهدوا، لدرجة وصل بهم الأمر إلى حد البكاء والتضرع للمولى عزوجل، كما مثلت هذه الشهادة تفوق الطب الصوفي في ظل فشل الطب العلمي في التطبيب، ناهيك أن كل هذا سيساهم في منح الثقة المطلقة لهذه الفئة عكس عجز الطبيب الذي انجر عنه أزمة ثقة.

فلا ريب أن هذه الآليات (الرقية، المسح، التفل) التي تم تقديمها واقترنت في استعمالها مع الدعاء، كلها أساليب ووسائل استشفائية ارتبط ظهورها مع ضعف الطب العلمي، مما انبثق عن ذلك بسط نفوذ الطب الصوفي في المغربين الأدنى والأقصى في فترة الدراسة، وهذا الشكل يصور لنا نقاط القوة في هذه الممارسات العلاجية التي تصدر لممارستها أولياء عرفوا بإجابة الدعوة لتقواهم وورعهم، كما أنه ينم في الحقيقة على تنافس صامت ومضمر بين الطب العلمي والطب الروحاني على استقطاب مختلف الشرائح الاجتماعية والتأثير في ذهنيتها لتوسيع الاعتقادات والولاءات[37].

والاعتراف بالسلطة الكاريزماتية للولي التي مارسها عن طريق الدعاء، فهي على حد تعبير أحد الباحثين تلك: "الصفة الاستثنائية لشخص يظهر مقدرة غير طبيعية، فوق بشرية، أو على الأقل غير مألوفة، بحيث يبدو وكأنه كائن سماوي، مثالي أو استثنائي، ولهذا السبب يجمع حوله أتباعا وأنصارا"[38].

لا نغالي إذا قلنا إن تدخلات الولي العلاجية هي في حقيقة الأمر مرآة عاكسة للوضع الصحي المتأزم الذي كان يتخبط فيه الناس، مما استدعى تدخل الولي بأساليبه العلاجية التي كانت بمثابة الدواء المضاد للمرض، فمهما يكن من أمر أن تلك الحكايات الكرامية التي روجت لها أدبيات المناقب أكدت في مضامينها على حقيقة قصور الطب العلمي، وفي المقابل نجاعة الطب الصوفي مقدمة في ذلك جملة من القرائن والأدلة التي تعزز من إثبات الطرح الذي تبنته، غير أن هذا الطرح أو تلك الرؤية التي سوقت لها تلك الأخيرة فيها نوع من المبالغة بدليل اختلاط "الواقعي بالمتخيل"[39].

الخاتمة:

عند هذا الحد من الدراسة يمكن القول إن ظهور الطب الصوفي في منطقة الضوء وإثبات تفوقه في المغربين الأدنى والأقصى خلال حقبة الدراسة، كان من ورائه جملة من الأسباب والعوامل التي فتحت له المجال للظهور والاعتقاد به لدى المجتمع، فلا شك أن هذه الأسباب قد تطرقت لها الكتب المنقبية، والتي تنص في مضامينها على قصور الطب العلمي ونقص فعالية الدواء المقدم، ناهيك عن ارتفاع تكاليف العلاج والدواء في آن واحد التي لم يكن بمقدور الفئات الهشة تسديدها على اعتبار أنها كانت محدودة الدخل.

ففي ظل هذا الوضع جعل الأولياء من فئة المرضى وأصحاب ذوي العاهات أولى اهتماماتهم في أدوارهم الاجتماعية الموكلة لهم تجاه فئات مجتمعهم بالعمل على تسكين الألم، وذلك بالاعتماد بالدرجة الأولى على آلية الدعاء كوسيلة استشفائية لما رافقتها من سرعة الاستجابة أثبت فعاليتها ونجاعتها في

إشفاء العلل، هذه الفعالية ستساهم في ترسخ الاعتقاد بفعالية العلاج الكرامي لدى ذهنية الإنسان الذي لعب هو الأخر دور المروج لهذه الممارسات العلاجية التي تصدر لممارستها طبقة الأولياء.

هذا لا يمنع أن تستعين هذه الطبقة بأساليب استشفائية أخرى إلى جانب الدعاء كلما لزم الأمر، والتي أثبتت فعاليتها هي الأخرى في شفاء المريض، كل ذلك سيساهم في استقطاب الناس والتأثير في ذهنياتهم لتوسيع الاعتقاد والولاء والاعتراف بالسلطة الكاريزماتية للولي الممارسة على المجتمع المغربي.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

المصادر:

- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (ت 256هـ)، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 2002م.
- التادلي، أبو العباس أحمد (ت في القرن 8هـ)، مناقب السيدة عائشة المنوبية، تحقيق: محمد الكحلاوي، منشورات كارم الشريف، تونس، ط1، 2011م.
- التادلي، أبو يعقوب يوسف بن يحي ابن الزيات (ت617هـ)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط2، 1997م.
- التميمي، أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم (ت 603 أو 604هـ)، المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من العباد، تحقيق: محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، ط1، 2002م.
- الخطابي، أبو سليمان حمد محمد (ت 388هـ)، شأن الدعاء، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، دمشق، ط3، 1992م.
- الدباغ، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأسيدي القيرواني (ت696هـ)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور ومحمد ماضيو، مكتبة الخانجي- مصر، المكتبة العتيقة- تونس، د.ط، د.ت.
- ابن زهر، أبو مروان بن عبد الملك (ت557هـ)، التيسير في المداواة والتدبير، تحقيق: محمد بن عبدالله الروداني، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مطبعة فضالة، المحمدية، د.ط، 1991م.
- ابن زهر، أبو مروان عبدالملك (ت 557هـ)، التيسير في المداواة و التدبير، تحقيق: ميشل الخوري، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دمشق، د.ط، 1983م.
- ابن الصباغ، محمد بن أبي القاسم الحميري (ت بعد 733هـ)، مناقب أبي علي سالم التباسي، تح، أحمد الباهي، دار كونتراست، سوسة، ط1، 2012.
- العزفي، أبو العباس (ت633هـ)، دعامة اليقين في زعامة المتقين – مناقب الشيخ أبي يعزى-، تحقيق: أحمد التوفيق، مكتبة خدمة الكتاب، المغرب، د.ط، 1989م.
- الغبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله (ت714هـ)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة ببجاية، تحقيق: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979م.
- الماجري، أحمد بن إبراهيم (ت في القرن 8هـ)، المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي صالح، تحقيق: عبدالسلام السعيدي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، د.ط، 2013م.
- المالكي، أبو بكر عبدالله بن محمد (ت483هـ)، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق: بشير البكوش، مراجعة: محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1994م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.

- النيسابوري، مسلم بن الحجاج (ت261هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة، دار طيبة، الرياض، د.ط، 2006م.

المراجع:

- بنحمادة سعيد، نظام الشرطة بالغرب الإسلامي، نسقية المؤسسات والممارسات الأمنية، منشورات الزمن،الرباط، د.ط، 2017م.
- البياض عبد الهادي، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق6- 8هـ / 12- 14م)، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2008م.
- حقي محمد ، الموقف من المرض في المغرب والأندلس، د.ط، مطبعة مانبال، بني ملال، د.ط، 2007.
- دحمور منصور، ظاهرة الولاية وتأثيراتها على مجتمع المعرب الأوسط فيما بين القرنين (06 و09 للهجرة / 12 و15 للميلاد)، صفحات للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2017م.
- السحيتري صوفية، الجسد والمجتمع -دراسة انتربولوجية لبعض الاعتقادات والتصورات حول الجسد-، دار الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2008م.
- سعيد محمد، الولاية والصلاح بإفريقية في العصر الوسيط الأول، مجمع الأطرش، تونس، ط1، 2018م.
- الشاذلي عبداللطيف، التصوف والمجتمع نماذج من القرن العاشر هجري، مطبعة سلا، سلا، ط1، 1989م.
- العامري نللي سلامة، الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي لإفريقية في العهد الحفصي، منشورات كلية الآداب، تونس، ط1، 2001م.
- مزدور سمية، الأزمة والولاية الصوفية في المغرب الأوسط (مابين القرنين 6-10ه/12-13م)، مقال منشور ضمن كتاب جماعي مغرب أوسطيات دراسات في تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الإسلامي الوسيط، إشراف علاوة عمارة، منشورات مكتبة اقرأ، الجزائر، ط1، 2013م.

الهوامش:

[1]- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور(ت711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، ج4، ص 360.

[2]- أبو سليمان حمد محمد الخطابي (ت 388هـ)، شأن الدعاء، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، دمشق، ط3، 1992م، ص 4.

[3]- محمد سعيد، الولاية والصلاح بإفريقية في العصر الوسيط الأول، مجمع الأطرش، تونس، ط1، 2018م، ص 325.

[4]- أبو العباس أحمد التادلي (ت في القرن 8هـ)، مناقب السيدة عائشة المنوبية، تحقيق: محمد الكحلاوي، منشورات كارم الشريف، تونس، ط1، 2011م، ص 165.

[5]- البرص: "بياض ساطع يكون في البَشرة إذا حُكَّ لم يَحْمرَّ و إذا جُرح لم يَدْمَ وهو مما علاجه البتة". ينظر: أبو مروان عبدالملك بن زهر(ت 557هـ)، التيسير في المداواة و التدبير، تحقيق: ميشل الخوري، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دمشق، د.ط، 1983م، ص341.

[6]- أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي ابن الزيات (ت617هـ)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط2، 1997م، ص 269.

[7]- منصور دحمور، ظاهرة الولاية وتأثيراتها على مجتمع المعرب الأوسط فيما بين القرنين (06و09للهجرة/ 12 و15 للميلاد)، صفحات للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2017م، ص 109.

[8]- عبداللطيف الشاذلي، التصوف والمجتمع نماذج من القرن العاشر هجري، مطبعة سلا، سلا، ط1، 1989م، ص116.

[9]- أحمد التادلي، مناقب السيدة عائشة المنوبية، المصدر السابق، ص160.

[10]- أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني(ت714هـ)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة ببجاية، تحقيق: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1979م، ص 76.

[11]- أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ(ت696هـ)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور ومحمد ماضيو، مكتبة الخانجي- مصر، المكتبة العتيقة- تونس، د.ط، د.ت، ج3، ص68.

[12] - منصور بختي، ظاهرة الولاية وتأثيراتها على مجتمع المغرب الأوسط فيما بين القرنين (06و09للهجرة/ 12 و15 للميلاد)، المرجع السابق، ص104.

[13]- ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، المصدر السابق، ص 233.

[14]- الصرع:" يكون ذلك إذا انصبّ خِلْط قي منافذ الروح النفساني، وكل خلط غليظ إمّا بلغمياً و إمّا سوداوياً، وإذا سدَّ هذا الخلط الغليظ منفذ الروح اجتمع الدماغ ليدفع عن نفسه ذلك فيتشنج البدن وتضطرب أعضاؤه". ينظر: ابن زهر، التيسير في المداواة و التدبير، المصدر السابق، ص85.

[15]- أحمد التادلي، مناقب السيدة عائشة المنوبية، المصدر السابق، ص165.

[16]- الجدري: "سبب ذلك ما يكون في دم الطفل من الدم المذموم الرديء، أعني دم الطمث ما اغتذى به في جوف أمه، فعندنا يقوى تدفعه قوة البدن، وكلما طالت مدته في البدن زادت رداءته، وذا تحرك للإندفاع تكون معه حمى حادة عظيمة، وربما تبع ذلك هذيان وأرق". ينظر: أبي مروان بن عبد الملك بن زهر(ت557هـ)، التيسير في المداواة والتدبير، تحقيق: محمد بن عبدالله الروداني، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مطبعة فضالة، المحمدية، د.ط، 1991م، ص370.

[17]- أبو بكر عبدالله بن محمد المالكي(ت483هـ)، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق: بشير البكوش، مراجعة: محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1994م، ص239.

[18]- أبو العباس العزفي (ت633هـ)، دعامة اليقين في زعامة المتقين – مناقب الشيخ أبي يعزى-، تحقيق: أحمد التوفيق، مكتبة خدمة الكتاب، المغرب، د.ط، 1989م، ص50.

[19]- سمية مزدور، الأزمة والولاية الصوفية في المغرب الأوسط (مابين القرنين 6-10ه/12-13م)، مقال منشور ضمن كتاب جماعي مغرب أوسطيات دراسات في تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الإسلامي الوسيط، إشراف علاوة عمارة، منشورات مكتبة إقرأ، الجزائر، ط1، 2013م، ص177.

[20]- المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، المصدر السابق، ج1، ص319.

[21]- مسلم بن الحجاج النيسابوري(ت261هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة، دار طيبة، الرياض، د.ط، 2006م، كتاب الوصية، رقم: 5659، ص768.

[22]- أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي (ت 603 أو 604هـ)، المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من العباد، تحقيق: محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، ط1، 2002م. ج2، ص175.

[23]- محمد بن أبي القاسم الحميري ابن الصباغ(ت بعد 733هـ)، مناقب أبي علي سالم التباسي، تح، أحمد الباهي، دار كونتراست، سوسة، ط1، 2012، ص54، 55.

[24]- أحمد التادلي، مناقب السيدة عائشة المنوبية، المصدر السابق، ص165.

[25]- أبو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري (ت 256هـ)، صحيح البخاري، دار ابن كثير، ط1، 2002م، كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق وقوله عبدي أو أمتي، رقم: 2554، ص618.

[26] - صوفية السحيتري، الجسد والمجتمع -دراسة انتربولوجية لبعض الاعتقادات والتصورات حول الجسد-، دار الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2008م، ص298.

[27]- التميمي، المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من العباد، المصدر السابق، ج2، ص20.

[28]- ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي ،المصدر السابق، ص391.

[29]- للمزيد حول هذا الموضوع، ينظر: نللي سلامة العامري، الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي لإفريقية في العهد الحفصي، منشورات كلية الآداب، تونس، ط1، 2001م، ص 294، 295

[30]- التميمي، المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من العباد، المصدر السابق، ج2، ص75.
[31]- نللي سلامة العامري، الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي لإفريقية في العهد الحفصي، المرجع السابق، ص 358.
[32]- المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، المصدر السابق، ج2، ص506.
[33]- نللي سلامة العامري، الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الديني والاجتماعي لإفريقية في العهد الحفصي، المرجع السابق، ص341.
[34]- أحمد بن إبراهيم الماجري (ت في القرن 8هـ)، المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي صالح، تحقيق: عبدالسلام السعيدي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، د.ط، 2013م، ج2، ص582.
[35]- محمد حقي، الموقف من المرض في المغرب والأندلس، د.ط، مطبعة مانبال، بني ملال، د.ط، 2007، ص74.
[36]- العزفي، دعامة اليقين في زعامة المتقين – مناقب الشيخ أبي يعزى-، المصدر السابق، ص51.
[37]- عبد الهادي البياض، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس (ق6 – 8 هـ / 12-14م)، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2008م، ص 261.
[38]- صوفية السحيتري، المرجع السابق، ص310.
[39]- سعيد بنحمادة، نظام الشرطة بالغرب الإسلامي، نسقية المؤسسات والممارسات الأمنية، منشورات الزمن،الرباط، د.ط، 2017م، ص 197.